ونحن نبشّر الجمهور أن من البحّاثين مَن أخذ في استعمال هذا المطعوم في الأطفال حتى الأولاد وتلاميذ المدارس ، بل مُمرِضي المصاح(١) (sanatorium) عن طريق الجلد حقناً تحته ، باعتبار انه لم يبقَ بوسع المعى امتصاص المطعوم والاستفادة منهُ . والرأي السائد الآن انها طريقةٌ مفيدة وعلى كلٍ فلا خوف منها ولا حرج.

ولا يخفى ان هذا الاختراع لم تتجاوز سنُّهُ السابعة وذيوعه الرابعة ؛ ومع ذلك فان عدد الجرعات الموزَّعة منهُ من دار پاستور وحدها قد بلغ ٣٠٠٫٠٠٠ وعدد المطعَّمين ٩٤٫٣٠١ والانتشار على الازدياد المطّرد مع تحسُّنات متواصلة كان بعضها عن اعتراضات وملاحظات لبعض المُنتقِدين تصبو الى اتقاء السلّ في كل عمر.

إن يوماً تبلغ فيهِ البشريّة هذه الأمنيَّة لهو بدون ريبٍ من أجل أيامها. جعلَهُ اللهُ قريباً بمنّهِ وكرمه !

طُفَيْل الغَنَويّ والطِرِمّاح الطّائي

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

اهدى الينا العلّامة المستشرق الهمام ف. كرينكو نسخة من ديوان طُفَيل الغَنَويّ ، رواية ابي حاتم السجستاني عن الاصمعيّ ، وديوان الطِرِمّاح الطائي ، في مجلّدٍ واحد عُني حضرته بنشرهما عنايةً لا مزيد عليها ، معتمداً على نسخة وحيدة خطيَّة كُتبت في اسبانية في السنة ٤٣٠ للهجرة . وقد استعان لهذا العمل بمراجعة مائة وثلاثة وعشرين تأليفاً عربياً بعضها مخطوط ومعظمها مطبوع، ذكر اسماءها في مقدمة الكتاب وأشار اليها في الحواشي المثبتة في ذيل كل صفحة.وقد ضُبطت الابيات والشرح الذي يرافقها بالشكل الكامل

(١) ترجمة الشيخ ابرهيم ايضاً

ومما يُسهّل الاستفادة من الكتاب الفهارسُ العديدة الملحقة به . منها فهرس للقوافي ، وآخر لأعلام الناس والقبائل وغيرها ، وفهرس للبُلدان، وفهرس لأهمّ الالفاظ الواردة في الديوانين مع تفسيرها بالانكليزية ، وفهرس خامس يُشغل ٢٥ صفحة ذُكرت فيه التآليف التي وردت فيها ابيات من شعر طُفيل او من شعر الطرمّاح مع تعيين الجزء والصفحة ، فيسهل الوقوف عليها في كتب الادب او في الامهات اللغوية

ولم يكتفِ العلّامة المستشرق بذلك ، بل اقدم على عمل اصعب وهو نقل معنى الابيات الى الانكليزية . وكلّ من يعرف ما يعترضنا من الصعوبة لندرك معاني الشعر القديم يستعظم هذا العمل ويقرّظهُ

والكتاب مُقدَّم لذكر المرحوم السر شارلس جيمس لَيَل الذي كان قرأ معظم النسخ قبل طبعها ، وقد طُبع على نفقة وقفية جيبّ ، بمطبعة بريل بليدن من اعمال هولندة ، طبعاً نظيفاً على ورق متين صقيل ناصع البياض ، باحرف واضحة هي اكبر واشد سواداً في الابيات منها في الشرح . ويحتوي ٣٨٢ صفحة بقطع كبير بطول ٢٧ سنتيمتراً وعرض ٢١

على اننا كنّا نود ان نرى في بدء الكتاب صفحة او صفحتين من النسخة الاصلية الخطّية ممثّلة بتصوير النور ، ليمكننا ان نعلم حالتها من الصحّة او الخطإ في الالفاظ والحركات . فقد عثرنا على بعض الاغلاط فأحببنا ان نوردها هنا مع تعيين الصفحة والسطر ونُتبعها بما نراه الصواب ، خدمةً للعلم :

خطأ	صواب		خطأ	صواب
٣٩	مُشْعِب	٥١	إهداب	إهذاب
٥١٦	المرتفع	٣٦٤	يَنْهَبْنَ	يُنْهَبْنَ
٣٨١١	خَيْرُم	٣٩١	ومُستلجم	ومُستلحم
٤١٥	يَحْرَمْ	في الاصل محروماً فجزُوا	٥٣٧	تُفْرَقُ	تَفْرَقُ
٥٧٧	أبرَزْنَ	أبرزْنَ	١٦٩٩	لِأولاها	لِأولاها
١٥٢١١	مُخَضْرَة	مُخَصَّرَة	١٦٣١٦	قُلَبًا	قَلْبًا
١٦٦٧	ضُبِرَتْ	ضَبُرَتْ	١٦٧١٦٠	مُقلِصة	مُقلِصة

الى غير ذلك من الاغلاط التي تُرى بها لحظة عين مثل: النِقال [١٢]٩٢، الجامض ١٥٠، وتسقيطاً [١٤]١٦٣، وقطرُ الرِجل [٢]١٧٢، وأرطاةِ حِقفٍ [١]١٧٤ الخ. والصواب: النِعال، والحامض، وتقسيطاً، وقطرُ الرِجل، وأرطاةِ حِقفٍ

***

هذا وقد رأينا ان نُثبت في «المشرق» ترجمة طفيل والطرماح، ونورد مثالًا من شعرهما، ليطّلع القرّاء على صفات هذين الشاعرين:

طفيل الغنوي

طُفيل بن عوف الغنوي شاعر جاهلي من الفحول المعدودين. يقال انهُ من اقدم شعراء قيس كان يقال لهُ «طفيل الخيل» لكثرة وصفه اياها. وكان طفيل يُسمّى في الجاهلية مجبّرًا لحُسن شعره. قال معاوية بن ابي سفيان: «خلُّوا لي طُفيلًا وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء.»

ذكر طفيل في شعره وقعة اوقعها قومه بطيء وحربًا كانت بينه وبينهم. وسبب ذلك ان رجلًا من غنيّ يقال لهُ قيس الدارمي وفد على بعض الملوك وكان قيس سيّدًا جوادًا. فلمّا دخل المجلس اقبل الملك على من حضرهُ من وفود العرب فقال: لأضعنّ تاجي على اكرم رجل من العرب. فوضعهُ على رأس قيس وأعطاهُ ما شاء ونادمهُ مدّة. ثم اذن لهُ في الانصراف الى بلده فلمّا قرب من بلاد طيء خرجوا اليهِ وهم لا يعرفونه فقتلوه. فلمّا علموا انهُ قيس ندموا لأيادٍ لهُ كانت فيهم، فدفنوهُ وبنَوا عليهِ بيتًا. فجمع طفيل جموعًا من قيس، فاغار على طيء فاستاق من مواشيهم ما شاء، وقتل منهم قتلى كثيرة. فقال بعد النسيب في قصيدة لهُ وهي الاولى من ديوانه وعدد ابياتها ٧٧:

وبَيتٍ تَبُثُّ الريحُ في حَجراتهِ ... بأرضٍ فَضاءٍ بابُهُ لم يُحَجَّبِ
سَماوَتُهُ أسمالُ بُردٍ مُحَبَّرٍ ... وصُهوتُهُ من أتحميٍ مُعصَّبِ
وأطنابهُ أرسانُ جُردٍ كأنّما ... صُدورُ القَنا من بادئٍ ومُعقّبِ
نَصبتُ على قومٍ تُدِرُّ رماحُهم ... عُروقَ الأعادي من غَريرٍ وأشيَبِ

وفينا ترى الطُّولى ، وكلَّ سَمَيْدَعٍ ... مُدرَّبِ حربٍ وابن كلِّ مُدرَّبِ
طويلِ نِجادِ السَّيف ، لم يرضَ خُطَّةً ... من المَجْدِ ، وَرَّادٍ الى الموتِ مَنْهَبِ
تَبيتُ كعِقبانِ الثَّريّقِ رجالُهُ ... اذا ما نَوَوْا إحداثَ امرٍ مُحَبَّبِ
وفينا رِباطُ الخيلِ ، كلُّ مُطَهَّمٍ ... رَجيلٍ كسِرحانِ الغَضا المتأوِّبِ
يُذيقُ الذي يلو على ظهرِ مَتْنِهِ ... قِلالَ خَذاريفٍ من الشدِّ مُلهِبِ ،
وجَرداءَ مِرواحٍ ، نَيِلٍ حِزامُها ... طَروحٍ كمُودِ النِّعمةِ المُتنخِّبِ
تُنيفُ اذا اقورَّت من القَودِ ، واطوت ... جوادٍ رَفيعٍ يَقهرُ الخيلَ صَاهِبِ

وقال يفتخر بقومه من قصيدة هي السادسة من الديوان وعدد ابياتها ٣٩:

بَني جعفرٍ ، لا تكفُروا حُسنَ سعيِنا ... وأثنوا بحُسنِ القَولِ في كلِّ مَحفلِ
فنحنُ منعنا ، يومَ حرسٍ ، نساءكم ... غَداةَ دَعانا عارٌ غيرَ مُؤتَلي
فقالَ : « اركبوا انتم حُماةُ لمثلِنا » ... فطرنا الى مَقصورةٍ لم تُنَبَّلِ
فجاءت بفرسانِ الصباحِ عوابساً ... سِراعاً الى الهَيجا معاً ، غيرَ عُزَّلِ
فأحمشَ أولاهم ، وألحقَ سِرْجَهم ... فوارسُ منّا بالقنا المُتنخِّلِ
فحامَى مُحامينا ، وطرَّفَ عنهمُ ... عَصائبُ منّا في الوَغى لم تُخاذلِ
رَددنا السَّبايا من نُفَيلٍ وجعفرٍ ... ومُنَّ حَبالى من مُخِفٍّ ومُثقِلِ
وراكضةٍ ما تَستجنُّ بجُنَّةٍ ... بعيرَ حِلالٍ راجعتهُ مُجفَّلِ
فقلتُ لها ، لما رأيتُ الذي بها : ... « من الشرِّ لا تَستوهلي وتأمَّلي
فان كان قومي ليس عندكِ خُبرُهم ... فانَّ سُؤالَ الناسِ شافيكِ فاسألي ! »
ومُستَلحَمٍ تحتَ العوالي حَميتُهُ ... مُعمَّمِ دَعوى ، مُستثيرٍ مُجلَّلِ
مُشيفٍ على إحدى أثنتينِ بنفسهِ ... فُوَيتَ المنايا بينَ أسرٍ ومَقتلِ
ففرَّجتُ عنه الكربَ حتى كأنَّما ... تأوَّى من الهَيجا الى حوزِ مَعقلِ

وقال طُفَيل يصف سحاباً من قصيدة هي السابعة في ديوانه وعدد ابياتها ٣٣:

اصاحِ ترى برقاً أُريكَ وميضَهُ ... يُضيءُ سَناهُ سُوقَ أثلٍ مُركَّمِ
أسَفَّ على الأفلاجِ أيمنُ صَوْبِهِ ... وأيسرُهُ يلو مَخارمَ سَلْمِ
لهُ هَيْدَبٌ وانٍ كأنَّ فُروجَهُ ... فُوَيقُ الحصَى والارضُ أرفاضُ حَنْتَمِ
أبَتْ بهِ ريحُ الجَنوبِ فأسعدَتْ ... رَوايا لهُ بالماءِ لمّا تصرَّمِ

الطرماح الطائي

الطِرِمّاح بن حَكيم الطائي من فحول الشعراء الاسلاميين وفُصحائهم . نشأ بالشام ، وانتقل بعد ذلك الى الكوفة مع من وردها من جيوش اهل الشام . نزل في تيم اللّات بن ثعلبة ، وكان فيهم شيخ من الشراة الازارقة له سِمْتٌ وهيئة ، وكان الطرمّاح يجالسه ويسمع منهُ ، فرسخ كلامه في قلبه ، ودعاه الشيخ الى مذهبه فقبلَه واعتقدهُ اشدَّ اعتقادٍ واصحَّهُ ، حتى مات عليه. وقد اشار الى معتقده هذا اذ قال :

فُرِ دَرُّ الشراةِ ! إنهمُ اذا الكَرَى مالَ بالطُلا ، أرقوا
يُرجِّعُون الحَنينَ آونةً وإن عَلا ساعةً بهم شَهِقُوا
خوفاً تَبيتُ القُلوبُ واجفةً تَكادُ عنها الصُدورُ تَنفَلِقُ
كيفَ أُرجّي الحياةَ بعدهمُ وقد مضى مُؤنسي فانطلقوا ؟
قومٌ شِحاحٌ على أعنادِهم بالفوزِ ، مما يُخافُ قد وَثِقوا

وكان الطرماح كبير النفس أبيًّا . قال ابن الاعرابي : وفد الطرماح ابن حكيم ، والكميت بن زيد على مخلد بن زيد المهلّبيّ . فجلس لهما ودعاهما . فتقدَّمَ الطرماح ليُنشِد. فقال لهُ : « أَنشِدنا قائمًا. » فقال : « كلّا والله ما قدر الشعر ان اقوم لهُ فيحطّ مني مقامي ، فأحطّ منهُ بضراعتي ، وهو عمود الفخر وبيتُ الذكرِ لمآثر العرب. » فقيل لهُ : « فتنحَّ ! » ودُعي بالكُمَيت فأنشدَ قائمًا . فأمر لهُ بخمسين الف درهم . فلمّا خرج الكميت شاطرهما الطرماحَ وقال لهُ : « انتَ ابا ضبية ابعدُ همّةً ، وانا ألطفُ حيلةً . »

كانت بين الطرماح والكميت خلطة ومودّة وصفاء لم تكن بين اثنين . وهذه الاحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة . وكان الكميت شيعيًّا عصبيًّا عدنانيًّا من شعراء مُضَر متعصّباً لاهل الكوفة . والطرماح خارجي صفري قحطاني عصبي لقحطان من شعراء اليمن متعصب لاهل الشام .

فقيل لهما : « فيمَ اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الاهواء ؟ » قالا : « اتفقنا على بغض العامة »

وأنشد الكميت قول الطرماح :

إذا قُبضَت نفسُ الطرماح ، أخلقَتْ عُرَى المجدِ ، واسترخى عنانُ الفضائلِ

فقال : « إي والله وعنانُ الخطابة والرواية والفصاحة والسماحة »

وكان الطرماح كثير الغريب يتضح ذلك من مطالعة شعره . قال روبة : « كان الطرماح والكميت يصيران اليَّ فيسألان عن الغريب فأخبرهما به فأراهُ بعد في اشعارهما » . وسُمع محمّد بن حبيب يقول : « سألتُ ابن الاعرابي عن ثمان عشرة مسألة كلّها من غريب شعر الطرماح ، فلم يعرف منها واحدة يقول عن جميعها : « لا ادري ، لا ادري . »

ومن شعر الطرماح هذه القصيدة وهي الثانية من ديوانه وعدد ابياتها ٤٣ قالها يفتخر بقومه ، ويصف بلاءهم في الحرب :

أنّا مُشرُ شأنُنا العبرُ اذا الخوفُ مانَ بالأحناضِ
نُصُرٌ للذليلِ في ندوةِ الحيِّ تَرائبُ للنأى المنهاضِ
من يرُمْ جمعَنا يجدْهم تراجيـ ـحاةً للنُزّلِ الأحراضِ
لم يُنتنا بالوترِ قومٌ ، وللضيـ ـرِ رجالٌ يرضون بالإنهاضِ
فسَلي الناسَ إن جهلتِ ، وانـ ـشئتِ قفى بيننا وبينكِ قاضي
هل عدَلْنا ثامينةً تبتغي العزّ من الناسِ في القُرونِ الموالي
كم عدوٍّ لنا ، قُراسيةِ العزّ ـ تركْنا لحمًا على أوقاضِ
وجلينا إليهم الخيلَ ، فاقتيضَ حمامُ والحربُ ذاتُ اقتياضِ
بِلادٍ يفري الشؤون ، وطعـ ـنٍ مثلِ إزراعِ شاسباتِ المخاضِ
ذي فُروغٍ يظلُّ من زبَدِ الجو فـ عليهِ كثاثُ الحُماضِ
نقبَتْ عنهمُ الحروبُ فذاقوا بأسَ مستأصلِ العدى مُتناضِ
كلُّ مُستأنسٍ الى الموتِ قد خـ ـضَ اليهِ بالسيفِ كلَّ مَخاضِ
لا بَني يُحبضُ العدوَّ وذو الحقـ ـدِ يُشفى صَداهُ بالإحماضِ
حينَ طابت شرائعُ الموتِ فيهـ ـا ومِرارًا يكون عَذْبَ الحياضِ

باللواتي لم يَتْرُكنَ عِفاقاً ، والمَذاكي يَنهضنَ ايَّ انتهاضِ
تلكَ أحسابُنا اذا احتنَكَ المَحْـ ـلُ ، ومُدَّ المَدى مَدَى الأغراضِ

وقال الطرماح في القصيدة الثالثة من ديوانهِ وعدد ابياتها ٣٤ يصف الثورَ الوحشيَّ والكلابَ وصيدها لهُ :

كمُخَنِّقِ المَشْيَيْنِ ، باتَ ثَلاثُهُ وطِفاءُ ساويةٌ ، وهِفٌّ مُبْرِدُ
ضاحي المَرائِعِ والطَيات ، كأنَّهُ بَلَقٌ تَعاوَرَهُ البُساةُ مُمَدَّدُ
يَقَقُ السَّراةِ ، كأنَّ في سَفَلاتِهِ أثرَ النُّؤورِ جرَى عليهِ الإثمِدُ
حُبِسَتْ صُهارتُهُ نظلَّ عُثانُهُ في سَيْطَلٍ كُفِئَت لهُ يتردَّدُ
حتى اذا هوَ آلَ ، واطَّردَت لهُ شُعَبٌ كأنَّ وُحيَّهُنَّ المُسْنَدُ ،
أجلَت بدا بَلَويَّةٍ عنها لها إبَرٌ تَرَكنَ قراغُها ما تَبْلُدُ
يبدو وتُضمِرهُ البلادُ ، كأنَّهُ سَيفٌ على شَزَفٍ يُسَلُّ ويُغمَدُ
هاجَت بهِ كُثُبٌ تَلمَّعُ للطَّوى والحرصِ يَدْأَلُ خلفَهنَّ المُوسِدُ
صُمُرُ السَّوالفِ بالجراءِ ، كأنها خلفَ الطرائدِ ، خَشرمٌ مُتبدِّدُ
فاجتَبنَ حاصبَهُ ، ووَلَّى يقتري ، فَيحانَ يُسبِحُ مرَّةً ويُعرِّدُ
يُذري رَوانِسَها الاوائلَ ، مثلَ ما يُذري قُراشَ شَبا الحديدِ المِبرَدُ
تبرًا ، وتَخصِفُها بحرقِ وَرْقِهِ شزرًا كما اختصفَ النِعالَ المِسرَدُ
فصدفنَ عنهُ ، وقد عصفنَ بنعجةٍ خَذَلَت وأفلتَها فَريرٌ مُفرَدُ
فالقومُ أجنَبَها شرائجَ منهمُ طاهٍ يَحُشُّ ، وهَبْهَبيٌّ يَفأَدُ
وغدا تَشُقُّ بداهُ ارساطَ الرُّبَى ، قسمَ القِتالِ تَقُدُّ اوسطَهُ اليدُ
يغرو المَقاتلَ بين حَزمِ عُوارضٍ ويَسوفُ اسفلها خُزامى تَمأَدُ

وفي القصيدة الخامسة ، وعدد ابياتها ٧٥ ، قال الطرمّاح يُزهِد في الدنيا :

ترك الدهرُ اهلَهُ شُعَبًا فاستمرَّت من دونهم عُقَدُهْ
وكذاك الزمانُ يَطرُدُ بالنا سَ الى اليوم ، يومُهُ وغدُهْ
لا يُليثانِ باختلافهما المر ءَ ، وان طال فيهما أمدُهْ
كلُّ حيٍّ مستكملٌ عدَّةَ الدهـ ـرِ ومُودٍ ، اذا انقضَى عَدَدُهْ
عجبًا ما عجبتُ للجامعِ المالَ يباهي بهِ ويرتفدُهْ
ويُضيعُ الذي بصيَّرهُ اللهُ م اليهِ ، فليسَ يتقِدُهْ

يومَ لا ينفع المُخوَّلَ ذا العُروة م خُـلَّانـهُ ، ولا ولـدُهْ
يوم يُوفَى بهِ ، وخصماه ، وسطَ م الجبنِّ والإنس ، رجلُه وبـدُهْ
خاشعُ الصوتِ ، ليس ينفعه ثَمَّ م أمـانيُّـهُ ، ولا لَـدَدُهْ
قُل لباكي الاموات : لا تبكِ لنا س ، ولا يَـتبعْ بـهِ فَنَـدُهْ
انما النـاسُ مثلُ نابتةِ الزَّر ع متى يـأنِ ، يأتِ مُحتصدُهْ

وفي القصيدة الثامنة ، وعدد ابياتها ٣٦ ، قال الطرمّاح يردُّ على الفرزدق ويهجو تميماً :

بأيِّ بلادٍ تطلبُ العزَّ بعد ما ، بَولدِها ، هانت تميمٌ وذلَّتِ
اقرَّت تميمٌ لابنِ دَارِمةَ حُكمَهُ ؛ وكانت ، اذا سِيمت هَوانًا ، اقرَّتِ
وكانت تميمٌ وسطَ قحطانَ اذ سَمَتْ كسفذوفةٍ في البحرِ ليلًا ، فضلَّتِ
وغَرَّكَ من أُسْدِ العراقِ كتائبٌ تقحطانَ اهلِ الشامِ يومَ استهلَّتِ

الى ان قال :

افخرًا تميمٌ ، اذا فتنةٌ خبَتْ ! ونُومًا ، اذا ما المشرفيةُ سُلَّتِ !
ولو خرجَ الدجَّالُ يَنْشُرُ دينَهُ نَزافتْ تميمٌ حولَهُ واحزألَّتِ
قَراثرُ ضلالٍ بالعراقِ وحوقٍ اذا مات مَيْتٌ من قُريشٍ اهلَّتِ
فاينَ تميمٌ ، يومَ تَقطرُ بالقنا كتائبُ أنسًا اقامَتْ واحلَّتِ ؟
كتائبُ من قحطانَ ، بالغَفر اوقعت وقائعَ فيها اعظمَتْ واجلَّتِ
فخَرْتَ بيوم الغَفر ، شرقيَّ بابلٍ وقد جبْتَ فيهِ تميمٌ ، وفلَّتِ
فخرتَ بيوم لم يكن لك فخرُهُ ، وقد نحلَتْ منك الرماحُ وعلَّتِ
كفخرِ الإماءِ الراغماتِ عشيةً برقمِ حُدوجِ الحيِّ حينَ استقلَّتِ

---

١) في طبع دواوين الشعر القديم ، اذا عثر من يُعنى بنشر الديوان على رواية في كتب الادب مختلفة عن رواية النسخة الاصلية وكانت هي الصحيحة ، ترى الاوفق ان يثبتها في القصيدة ويشير في الحاشية الى رواية النسخة الاصلية . مثلا في هذا الشطر من شعر الطرمّاح : «ولو خرج الدجّال ينشدُ دينهُ» يروى (في اللسان ١٣ : ١٥٩) «يَنْشُرُ» عوض «يَنْشُدُ». «ينشر» هي الرواية الصحيحة . فكان الاوفق ان تُثبَت في البيت ، ويُشار في الحاشية الى رواية النسخة الاصلية «يَنْشُدُ»